عنوان المحاضرة

شـــــروط المـــفـسـر

شـــــروط المـــفـــسـر:

البحث العلمي النزيه أساس المعرفة الحقة التى تعود على طلابها بالنفع ، وثمرته من أشهى ما يؤكل لغذاء الفكر وتنمية العقل، ولذلك فإن تهيؤ أسبابه لأي باحث أمر له اعتباره في نضج ثماره ودنو قطوفه ، والبحث في العلوم الشرعية عامة وفي التفسير خاصة من أهم ما يجب الاعتناء به والتعرف على شروطه وآدابه ، حتى يصفو مشربه ، ويحفظ روعة الوحي وجلاله. وإذا تتبعنا الشروط التي اشترط العلماء توفرها في المفسر- والتي اجتهدوا في جمعها ,وجدناها لاتخرج عن مایاتي:

-1-اللغة : لأن بها يعرف شرح المفردات ومدلولاتها بحسب السياق.نحو: -قوله تعالى:(وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ) ،فمعنى سيارة :الرفقة المسافرون، وليس السيارة المعروفة اليوم.

- وقوله تعالى:(اخذناهم بالسنين) يعني القحط وليست السنين جمع سنة.

-وقوله تعالى:(ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو) العفو ،يعني الزيادة ،وهكذا.

2- النحو : لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب . فلا بد من اعتباره. الآية في سورة التوبة: يقول تعالى : {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ} فقد روى أهل السّير أنّ أعرابيًّا قدم المدينة فسمع قارئ يقرأ الآية بجرّ كلمة "رسوله"، فيكون المعنى حينها أنّ الله -تعالى- بريءٌ من المشركين ومن رسوله كذلك حاشا لله، فقال الأعرابي: "أوقد برئ الله من رسوله؟ إن يكن الله تعالى برئ من رسوله فأنا أبرأ منه"، فسمعه عمر بن الخطّاب فاستدعاه، فسأله عن قوله فقال له إنّه سمع الآية بقراءة الجر، فوضّح له أمير المؤمنين -رضي الله عنه- القراءة الصحيحة للآية، فعندها قال الأعرابيّ: "وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم وقوله تعالى {قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ} فغير المطّلع على لغة العرب والعلوم الناظمة لهذه اللغة سيقول إنّ في الآية خطأ والصّواب أن يُقال: إن هذين لساحران على أنّ "هذين" اسم إنّ المنصوب، والمثنّى يُنصَب ويُجَر بالياء، ولكن الصواب أنّ الآية صحيحة ولكنّها جاءت على لغة من لغات العرب الذين ينصبون ويجرّون ويرفعون المثنّى بالألف، وهي قبائل يمنيّة مثل بني الحارث -أو بلحارث- وخثعم وزبيد ومن وليهم، وهذا ما يُعرفُ بلُغَة القَصْر.او ان (ان) مهملة وغير عاملة. .

-3-التصريف : فيه تعرف الأبنية والصيغ وهو ايضا تحويل الاصل الواحد الى امثلة مختلفة لمعان مقصودة ، . وبه تعرف المعاني اذا اختلفت حركات حروف الصيغة الواحدة مثل قوله تعالى: {يقول الإنسان يومئذ أين المفر}

قراءتها المشهورة (المَفَر) بفتح الميم والفاء، وقرأها ابن عباس (المَفِر) بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأها الزهري (المِفَر) بكسر الميم وفتح الفاء.

فمن لا يعرف علم الصرف لا يستطيع أن يفرق بين معاني هذه الصيغ المختلفة عموما فضلا عن التفرقة بينها في الآية.

فالمفر بفتحتين صيغة مصدر، وعليه فالمعنى (أين الفرار)؟

والمفر بفتح فكسر صيغة ظرفية، وعليه فالمعنى (أين محل الفرار)؟

والمفر بكسر ففتح صيغة مبالغة، وعليه فالمعنى (أين الذي يجيد الفرار)؟

-4-الإشتقاق : لأن الإسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما. قوله تعالى {قالوا إنما أنت من المسحّرين} فإنّهم اختلفوا فيه على أقوال كثيرة:

القول الأول: من المخلوقين، **القول الثاني**: المسحورين، .**القول الثالث**: الساحرين، .

والقول الرابع: من المخدوعين، **والقول الخامس**: المسحَّر المجوَّف .

والقول السادس: المسحَّر الذي ليس له شَيء ولا مُلك **والقول السابع:** المسحَّرون المرزوقون الذين لا بدّ لهم من الغذاء

والقول الثامن: من المعلَّلين بالطعام والشراب، .**والقول التاسع**: ممن له سَحْر أي: رئة، والمقصد إنما أنت بشر مثلنا . فمعنى الكلمة هنا ياتي من اصل معناها الذي اشتقت منه في البداية.
-5-علوم البلاغة : وهي علوم **المعاني والبيان والبديع**، لأن المفسر يعرف بعلم **المعاني** خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، ويعرف بعلم **البيان** خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، ويعرف بعلم **البديع** ووجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم هي أعظم الشروط التي ينبغي توفرها في المفسر، ذلك أنه مطالب بمراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يدرك الاعجاز بهذه العلوم.
والملاحظ أن النصوص الأدبية الرفيعة لا تدرك إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة وغيرهما يكون من أهل الذوق، وممن يصلح لانتقاد تلكم النصوص .وإنما أهل الذوق هم الذين يشتغلون بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر، وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة فهؤلاء يمكن الاعتماد عليهم في انتقاد النصوص وتمييزها.

6-علم القراءات: وبه نعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. فمن الأمثلة على اختلاف القراءات، قراءة عاصم والكسائي لقول الله تعالى: (ملك يوم الدين) بألف فيقرأها هكذا: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [الفاتحة:٤]. بينما قرأ الباقون بغير ألف (ملك يوم الدين)، وفي سورة آل عمران قرأ حمزة والكسائي ("سيغلبون ويحشرون") بالياء فيهما، وقرأ الباقون "(ستغلبون وتحشرون") بالتاء على المخاطبة، والباب في هذا واسع.. وللفائدة راجع كتاب حجة القراءات، وكتاب النشر في القراءات العشر، وغيرهما من كتب القراءات.

-7-أصول الدين : في القرآن الكريم من الآيات الدالة على ما يجوز على الله تعالى او لايجوز، فالعالم باصول الدين يوضح ذلك ويبينه، ويستدل على ما يستحيل وصف الله تعالى به، وما يجب وما يجوز .فهو علم أصول الدين ويسمى أيضاً علم العقائد، وعلم التوحيد، وعلم الكلام، كما سماه الإمام أبو حنيفة النعمان باسم الفقه الأكبر، وقد عرفه العلماء بأنه: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها وإلزام الخصم بها. وسمي أصولاً من حيث إن الدين يبتني عليه، فإن الإيمان بالله تعالى أساس الإسلام بفروعه المختلفة. وعرفه ابن خلدون

بقوله: "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة" .

-8-أصول الفقه : هو العلم بالقواعد والأدلة الاجمالية التي يتوصل بها الى استنباط الفقه. وفيه يعرف وجه الإستدلال على الأحكام والإستنباط ، وهناك اشتراك كبير بين اصول الفقه واصول التفسير كما في موضوعات المجمل والمفصل والمطلق والمقيد والعام والخاص وما اشبه ذلك.
-9-أسباب النزول: هي ما نزلت الاية او الآيات موضحة له او متحدثة عنه أيام وقوعه . فبسبب النزول يمكننا معرفة الظروف والملابسات التي واكبت نزول الآية والعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. مثال ذلك:قوله تعالى {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} [النساء:٦٥] قال الزبير بن العوام: فيّ نزلت هذه الآية وفي رجل من الأنصار، كان بيننا خصومة في شراج الحرة -مكان سقيا الماء- فذهبنا إلى رسول الله ﷺ نتحاكم إليه، فقال النبي ﷺ: (اسق يا زبير! ثم أرسل الماء إلى الأنصاري) ، وذلك باعتبار أن الماء كان يمر على الزبير أولاً، فغضب الأنصاري وقال: يا رسول الله! أن كان ابن عمتك؟ يعني أنك حكمت له لكونه ابن عمتك، فـ الزبير ابن صفية وصفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ فقال الأنصاري لرسول الله: أن كان ابن عمتك يا رسول الله؟! أي: من أجل ذلك قضيت له! فتلون وجه رسول صلى الله عليه وسلم، وكان قد أشار عليهما بأمر فيه إصلاح لهما معاً، فقال: (اسق -يا زبير - حتى يرتد الماء إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى الأنصاري) ففيه نزلت: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} . وبالقصص يمكننا الوقوف على بعض أبعاد ما أجمل في القصص القرآني.

-10-الناسخ والمنسوخ : النسخ هو:رفع حكم شرعي سابق، بدليل شرعي متأخر عنه" ولا يكون إلا من عند الله تعالى. وليعلم المفسر المحكم من (آي الذكر الحكيم)من غيره ، ولكي يعرف الحكم المتقدم من الحكم المتاخر ، ثم يبني على ذلك تفسيره ، منه **نسخ القران بالقران**: ومثاله نَسْخُ قوله تعالى: { يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس } (البقرة:٢١٩) فقد نسختها آية: { إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه }**ومنها نَسْخُ السنة بالقرآن،** كنسخ التوجُّه إلى قبلة بيت المقدس، الذي كان ثابتًا بالسنة بقوله تعالى: { فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام } (البقرة:١٤٤). ونَسْخُ وجوب صيام يوم عاشوراء الثابت بالسنة، بصوم رمضان في قوله تعالى: { فمن شهد منكم الشهر فليصمه } (البقرة:١٨٥) .

ومن أنواع النسخ أيضاً، **نَسْخُ السنة بالسنة،** ومنه نسخ جواز نكاح المتعة، الذي كان جائزًا أولاً، ثم نُسخ فيما بعد؛ فعن إياس بن سلمة عن أبيه، قال: (رخص رسول الله عام أوطاس في المتعة ثم نهى عنها) رواه مسلم وقد بوَّب البخاري لهذا بقوله: باب نهي رسول الله عن نكاح المتعة آخراً .

11 -الفقه : الْفِقْهُ في اللغة: الْفَهْمُ للشيء والعلم به . وفي الاصطلاح : بأنه: «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية» لاجل ان يفسر آيات الأحكام تفسيرا صحيحا لا يحيد بها عن جادة الحق والصواب .مثل قاعدة: **الامر يفيد الوجوب**(واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة).
12 -الإلمام بالأحاديث النبوية الشريفة المبينة والمفسرة لما أجمل وأبهم من آي الذكر الحكيم.

ففي الاحاديث تفسير كثير لايات الله تعالى وسياتي ذكرها في مفردات اخرى لاحقة.مثاله: لما نزلت : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) [الأنعام : ٨٢] ، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله ﷺ : " إنه ليس بذاك ، ألا تسمع إلى قول لقمان : (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) .

-13-علم الموهبة : وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم . وإليه يشير الحديث النبوي من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) .

قال السيوطي:

ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس الأمر كما ظننت من الإشكال، والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد، قال في البرهان: (اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا تظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى، أو حب دنيا، أو هو مصر على ذنب أو غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب، وموانع بعضها آكد من بعض..

وفي هذا المعنى قوله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (الأعراف: ١٤٦)، قال ابن عيينة: أنزع عنهم فهم القرآن، .

وهذا الكلام يدل على أن عون الله في فهم كتابه لا يتأتى لغير المسلم الصادق، المؤمن بما يفسر، العامل بالأوامر المجتنب للنواهي؛ لأن امتثال شريعة الكتاب مما يهدى العقل إلى مشارق النور، فالمفسر في مقعده بين القلم والطرس عابد في محرابه يتأمل بدائع صنع الله..

وأحرى به أن ينصرف عن شرور النفس فلا يتعلق بتافه الأعراض، ولا يخضع لنزوات الكبر والهوى والشموخ، ولا يصر على ذنب فعله ثم ذكر الله واستغفر لذنبه، كل ذلك مما يصقل روحه، وينير عقله فيتلقى النص الكريم وضيء الصفحة باهر الإشعاع.

ليست الموهبة هي القدرة على الفهم وحدها، وليست هي الذوق المتفطن لدقائق اللمحات، وبوارع الإيحاء، ولكنها مع ذلك تقوى المفسر، وتقديره مسئولية ما يتعرض له من تفسير، والذي يخاف مقام ربه ويقدر أنه ينطق عن وحيه، لا يمكن أن ينحرف في تأويل آية ليرضي هوى في نفسه، أو يشايع صاحب مذهب يدعو إليه، أو يستشعر تكبرًا واستعلاء على الناس لأنه صاحب علم وتفسير!

إن أمثال هؤلاء محجوبون عن هداية السماء، وقد وفق السيوطي حين استشهد في هذا المجال بقول الله عز وجل: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) (الأعراف: ١٤٦).

@ .

أما بالنسبة للمفسر المعاصر فيتعين إضافة ثلاثة شروط أخرى، وهي :

-1-الإلمام التام بعلوم العصر وذلك حتى يمكن أن يعطي للقرآن بعده الحضاري الصحيح فيتحقق

مفهوم شمولية وعالمية الدين الإسلامي .
-2-المعرفة بالفكر الانساني والاجتماعي ، السائد والمهيمن على الساحة، وذلك حتى يستطيع دحض كل الشبهات المحاكة حول الدين الإسلامي، وإبراز حقيقة القرآن الكريم وموقفه من كل قضايا العصر، وذلك مساهمة منه في نشر الوعي بحقيقة الإسلام وريادته الفكرية والحضارية .
-3-الوعي بمشكلات العصر وأزماته. والمعرفة بها ضرورية لإبراز موقف الإسلام منها وسبل تفاديها وكيفية معالجتها.

والمتتبع للشروط المعرفية المذكورة فيما سبق التي اشترطها علماؤنا من أهل السنة يتضح له أن هذه الشروط وإن كانت كلها **معرفية** فإنها تنقسم إلى قسمين :
1-شروط **معرفية** بحتة.
-2-شروط منهجية ويقصدون بها:

أ- تفسير القرآن بالقرآن .
ب- تفسير القرآن بالسنة.
ج- الأخذ بقول الصحابي.
د- الأخذ بأقوال كبار التابعين كمجاهد وابن جبر وسعيد ابن جبير، وعكرمة وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيب، وغيرهم ممن تلقى جميع التفسير عن الصحابة رضوان الله عليهم.